صوت من الريف المريض :

وباء الكولـــيرا

للشيخ محمـــد رجب البيومى

« كانت الكفر الجديد من قرى الدقهلية الحزينة التى داهمها الوباء فقد ثكلت مائة نفس فى أسبوع واحد ، وهى لاتزيد عن ثلاثة آلاف ، وقد شاهدت محنتها القاسية ، فكان الصراخ الفاجع يشرد نومى ، وقد كنت أتحدث مع الرجل ثم يجيئنى نعيه بعد ساعة واحدة من حديثه ، وما زلنا ننتظر رحمة السماء »

شب تحت الضلوع يعصف بالجسم ... كما يعصف اللظى بالهشيم
ذعر الناس فاستهلت دموع ... كانهمار الغيوث تحت الغيوم
وأفاق الشعب الجريح كما استيقظ ... جفن على صراخ أليم
زأر الرعب فى القلوب فجاش الحز ... ن يغلى بها كغلى الحميم
الصبور الشجاع غير صبور ... والحليم الرزين غـــير حليم
جزعت أنفس وطارت عقول ... قد دهاها الردى بخطب جسيم
سلمت أمرها إلى الله لـكن ... هـل يرد القضاء بالتسليم
خطر هب يمحق الناس محقا ... كرجوم تهوى وراء رجوم
كلما قد قرأت عنه حديثاً ... شب فى أضلعى لهيب الجحيم
قيل لى أنت هالك فتطعم ... أى خير يكون فى تطعيمى
أنا أمشى وبين طيات قلبى ... خيفة منـــه رعدة المحموم
ينفث السم كالأفاعى مجـــداً ... ويبيد الجسوم تلو الجسوم
الشديد القوى صريع لديه ... والسليم الصحيح غير سليم
جثث ترمى كساحة حرب ... أسفرت عن فناء جيش عظيم
جنت الأرض فهى تقفر فاها ... طمعاً فى ابتلاع عظم رميم
أكلت أهلها ولم تبق شيئاً ... ما سنيمى فى الآكل المنهوم ؟
طفت بالريف أجتليه صباحا ... وهو دنيا لذاذتى ونعيمى
كان يبدو لناظرى وسيما ... كيف أضحى الغداة غير وسيم
لا الأزاهير ذات عرف شذى ... لا النواعير ذات صوت رخيم
لا الغوانى الصباح يخطرن فى السهل ولا الطير بارع الترنيم
إنظر الحقل فالطبيعة فيه ... كبنى الإنس أسرفت فى الوجوم
هى والله ذات فكر حصيف ... قد هداها فشاركت فى الهموم
النخيل الوفى يخفض عطفيه ... كئيباً كبائس محروم
وعلى القطن غبرة سودته ... بعد ما لاح ساطعاً كالنجوم
والغراب العجيب يرسل نحوى ... نظرات كالفيلسوف الحكيم
خطر هـدد الجميع فكل ... صارخ من مصيره المحتوم
إن دها منزلا رأيت ذويه ... بين فان يمضى وحى سقيم
يهجر الوالد ابنه ثم يعدو ... خيفة من أذاه عدو الظليم
وحنان الأم الرءوم توارى ... فهى عند المصاب غير رءوم
ترك الزوج زوجه تتلظى ... فى جحيم يفوق كل جحيم
فر منها وكان يخشى عليها ... قبل هذا الوباء مر النسيم
فادخل البيت لست تبصر فيه ... غير أم ثكلى وطفل يتيم
فتح القبر فاطمأنت جنوب ... غرقت فى سكونها المستديم
مرض يملأ الخواطر بالوهم ... فيالى من خاطرى الموهوم
أنا منه مكبل بقيود ... قذفت بى إلى عذاب أليم
حرموا الماء والفواكه ظلما ... من مجيرى من ذلك التحريم
قيل لى إن فى المياه سموماً ... فكرهت المياه ذات السموم
وكذاك الفواكه الحلوة الطعم ... مجـــال لكل داء وخيم
عجباً أبغض الرحيق المصفى ... وأعاف الجنان ذات الكروم
قيل لى لا تسر جوار صديق ... واعتزل فى الأنام كل ندیم
إحذر العدوى أن تصيبك من ... خل وفى أو من عدو خصيم
فاجتنبت الورى وعشت وحيداً ... وتوغلت فى ضلالى القديم
ليت شعرى من أصطفيه لنفسى ... إن تخوفت من صديقى الحميم
عشت حتى غدوت مثل المرى ... أتوم الدار غارقا فى همومى
يا لحمى تفرى لحوم البزايا ... أو ما أتخمت بتلك اللحوم
مهدها الكنج مذبدت فلماذا ... تطعن «النيل» ويحها فى الصميم
نزلت فى الوادى كشمطاء لاحت ... لعيون الورى بوجه دميم
وأتتنا مع العدو كما تسعى ... الأفاعى مع الظلام البهيم
ليتها أهلكته أبشع هلك ... ورمته بكل داء عقيم
هكذا الإنجليز جرثومة الشـــر ونار مشبوبة اليحموم
رب من للضعيف هاجمه الخطـــب وما يستطيع صد الهجوم
يكظم الغيظ فى الحياة إلى أن ... يتلقى الردى بغيظ كظيم
المناحات لا تزال بسمعى ... كدوى الرعود ذات الهزيم
والثكالى يسرن خلف الثكالى ... ساهمات وقيت شر الهموم
كلما صاحت الديوك توهمت ... صداها صراخ عان كليم
إرحم الناس يا إلهى واكشف ... كل سوء فأنت خير رحيم

محمد رجب البيومى